أثر اتجاهات المحدثين العقدية في النقد

إعداد
جميل فريد جميل أبو سارة

المشرف
الأستاذ الدكتور شرف القضاة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علوم الحديث الشريف

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

كانون الثاني، ٢٠٠٨م

نوقشت هذه الرسالة (أثر اتجاهات المحدثين العقدية في النقد) وأجيزت بتاريخ ٢٤/١٢/٢٠٠٧م.

<u>أعضاء لجنة المناقشة</u>	<u>التوقيـــع</u>
الدكتور شرف محمود القضاة، مشرفا أستاذ الحديث – أصول الدين	....
الدكتور باسم فيصل الجوابرة، عضوا أستاذ الحديث – أصول الدين.	....
الدكتور سلطان سند العكايلة، عضوا أستاذ مشارك الحديث – أصول الدين	....
الدكتور عبد الرزاق موسى أبو البصل، عضوا أستاذ مشارك الحديث – جامعة اليرموك	....

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة المشرف الأستاذ الدكتور شرف محمود القضاة على اهتمامه بالرسالة للبلوغ بها إلا الكمال المنشود، وعلى وقته وجهده الذي قدمه في سبيل ذلك.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة المناقشين ولجميع مشايخي وأهلي وإخواني وأصـــحابي الذين كانوا خير عون لي على النجاح والتقدم.

وأسأل الله تعالى أن يجمعنا جميعا في جنته، وأن يكرمنا برحمته.

فهرس المحتويات

أثر اتجاهات المحدثين العقدية في النقد

إعداد
جميل فريد جميل أبو سارة

المشرف
الأستاذ الدكتور شرف القضاة

ملخص

حاولتُ في هذه الرسالة أن أشرح للقارئ ابتداء شيئا عن مصادر منهج النقد الحديثي، وأنها تعتمد على النص الصحيح والعقل الصريح، لأتخذ من ذلك منطلقا في بيان العلاقة بين الأفكار وبين التصورات السابقة وأثر ذلك في النقد الحديثي، من خلال الأصول النظرية، والتطبيقات العملية للنقاد.

وظهر من تشعب العرض فيها أن جوانب الموضوع مختلطة، والعوامل المؤثرة كثيرة، فهي دراسة تاريخية، حديثية، تحليلية، نقدية، ترمي إلى تسليط الضوء على جوانب خفية في الواقع النقدي، لتجتنب الفاسد وتأخذ بالنافع الصالح.

تركز فيها البحث في دائرة محدثي أهل السنة، مع بعض المقارنات بمناهج أصحاب الأديان والاتجاهات العقدية الأخرى، كالنصرانية والشيعة والإباضية وغلاة الصوفية وغيرهم.

تمت من خلالها تغطية جوانب التأثير المختلفة، كتأثير عقيدة الراوي، وعقيدة الناقد، والعقيدة المتضمنة في المروي، مع التفصيل في أثر النظريات العقدية الكبرى في مناهج النقد، كنظرية العصمة، ونظرية الكشف والإلهام.

وقد تبين بعد الشرح والبيان أن محدثي أهل السنة كانوا أقرب إلى الإنصاف والعدل، وأن سبب ذلك هو الاعتدال والوسطية في الفكر والاعتقاد، وأما أهل الغلو والانحراف فلم يحصدوا إلا فساد التصور وتخبط المنهج، وقد ظهر ذلك أجلى ما يكون عند الحديث في موضوع العصمة، وكيف أنها أدت بالنصارى ثم من بعدهم الشيعة إلى المجازفة في قبول الكتب والأخبار.

لقد ميزت هذه الرسالة جوانب العقيدة في منهج النقد، فمسألة رواية المبتدع، ومسألة نقد المتن، كلها من الأبواب التي ترتبط بالنظرة العقائدية، يتبعها في ذلك الاتهامات التي وجهت لبعض العلماء بدعوى تحيزهم نحو فكر ومعتقد معين أدى إلى ميل في الأحكام النقدية، ولكن الدراسة أثبتت بطلان ذلك عن علماء السنة – في الجملة –، سببه مجانبة الهوى، واستعمال التقوى، والاعتدال في التفكير.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

موضوع الدراسة وأهميتها:

لا شك أن طريقة التفكير هي التي توجه السلوك والأعمال والعلوم، وأن مسيرة الإنسان العلمية قد تأثرت بكثير من العوامل، من أهمها: الأفكار التي يحملها أصحاب العلوم، والتي مِن خلالها يقدمون تفسيراتهم لكل مدخلات ومخرجات العقل البشري.

من هنا تحاول هذه الدراسة المتواضعة رصد أفكار أشرف وأعلى وأميز فئة عرفها التاريخ بعد الرسل والأنبياء، وهي فئة أهل الحديث النقاد، وبيان أثر توجهاتهم العقدية على نتاجهم العلمي في علم الحديث، من حيث: التأصيل النظري، والتطبيق العملي.

فهي محاولة لرصد تأثر علم الحديث بالتوجهات العقدية المختلفة للمشتغلين بالحديث، وهل فعلا كان هذا التاثر؟ وإلى أي مدى؟ أم أن بركة ميراث النبوة حالت دون الانزلاق في أشكال التحيز، ودون محاولات التحريف والتغيير والتشوية التي وقفت وراءها أيد كثيرة.

كما أنها محاولة للأخذ بركاب طلبة الحديث إلى حيث الإنصاف والموضوعية، من خلال رصد بعض التجاوزات في الحكم على الرواة أو الأحاديث، والتي كان وراءها أفكار وعقائد يحملها بعض أهل الحديث، وذلك كله من خلال الاستفادة من كلام أهل العلم المحققين.

وقد غطت هذه الدراسة جوانب عريضة عامة، مقارنا فيها بين بعض المدارس النقدية الأخرى، كالمدرسة الصوفية الغالية، والمدرسة الشيعية، ومدارس بعض المستشرقين، لأظهر من خلال المقارنة تميز المحدثين من أهل السنة في اعتدال فكرهم، وسوي رأيهم.

وأنبه هنا إلى أن موضوع الرسالة يتعلق بأثر العقيدة في النقد، وليس عن أثر المذاهب الفقهية والتوجهات الأصولية، ولا عن أثر الأحداث السياسية، ولا غير ذلك من المواضيع التي تستحق أن تفصل في دراسات مستقلة، بل هو عن أثر الأفكار الدينية والعقائد الفكرية التي قادت خطوات النقد والتحليل للنصوص.

وحين أقول: النقد والتحليل، فإني أقصد إخراج أثرها في حركة الرواية ونقل الحديث، فإن حركة الرواية والسماع تأثرت بعوامل كثيرة: سياسية، وفكرية، واجتماعية، وقد تتداخل في بعض صورها مع حركة النقد، فلا بد حينئذ من الكلام عليهما معا.

وقد اشتملت الرسالة على البحث في جانبين عامَّين، هما:

الجانب الأول: قواعد خلفيتها ومنطلقها عقدي: وقد عنيت فيها ببيان كيف كانت النظرية الحديثية في النقد منطلقة وناشئة من أفكار ونظريات عقدية مسبقة: عامة أو خاصة، كان لها أكبر الأثر في التحكم في بعض القواعد والمناهج النقدية.

الجانب الثاني: تطبيقات عملية ذات ملحظ عقدي: أعني بها الأحكام النقدية على الرواة والمرويات إذا كانت متأثرة تأثرا ظاهرا بفهم فكري أو عقدي، وأقصد بها نقد المتون الحديثية والنصوص بناء على مخالفات للضروري من العقائد الثابتة، ونحو أحكام العلماء على الرواة بناء على عقائد معينة يحملها الراوي أو الناقد.

وبما أننا نتحدث عن مناهج الفهم والنقد، فإن ذلك يعني أننا نتحدث في موضوعات البحث العلمي ومناهجه، فهي رسالة أيضا في مناهج البحث وتأثرها بالفلسفات الفكرية.

وعلم أصول الحديث هو واحد من أرقى مناهج البحث التي عرفها الإنسان عبر مسيرته العلمية، وهي بلا شك كانت وليدة العقلية المسلمة، وربيبة المنظومة العقدية للمسلم، لأنها جزء من طرق التفكير التي تتأثر بالمبادئ والعقائد تأثرًا مباشرًا.

أهداف الدراسة:

هدفت في رسالتي هذه إلى أمور ثلاثة مهمة في ظني:

١- خدمة علم مصطلح الحديث بما يثري جوانبه التأصيلية، لتوضيح الأساسات التي بني عليها هذا العلم المنهجي، ومحاولة تقويمها وتطويرها والبناء عليها.

٢- تقييم شيء من التراث العلمي النقدي، وشيء من الدراسات المعاصرة، للوقوف على أماكن النقص لسدها وإكمالها، وجوانب الكمال لإبرازها وإظهارها.

٣- الوقوف على حقيقة التهم الموجهة للمحدثين في هذه الجوانب، لرد الباطل منها، وقبول الاعتدال فيما أصابت فيه.

الدراسات السابقة:

في ظني أن الحاجة ماسة لدراسة من هذا النوع – حيث لم أقف على دراسة سابقة مباشرة تعنى بهذا الموضوع – خاصة مع تكاثر محاولات الطعن في علم الحديث: من قبل من ينتسب إليه تارة وهم لا يشعرون، ومن قبل أعداء مختبئين تارة وهم يشعرون.

ولكن هناك بعض الدراسات التي بحثت شيئا مما يتعلق به، منها:

١ – المنهج المقترح لفهم المصطلح: لحاتم بن عارف العوني.

وهو مقدمة لرسالة علمية بعنوان (التدليس وعلاقته بالمرسل الخفي) بحث فيها مراحل تطور علوم السنة وقواعد المصطلح، مع محاولة الوقوف على أثر المتكلمين على هذه المراحل، مما يمكن الاستفادة منه ، لكنه يختلف عن بحثي باقتصاره على بيان أثر المتكلمين على بعض مسائل المصطلح، ولم يتطرق إلى بيان أثر التوجهات العقدية المختلفة على الأحكام العملية على الرواة أو الأحاديث، وهذا ما قمت به في هذه الرسالة إن شاء الله.

٢ – المسائل التي اختلف فيها بعض الأصوليين مع المحدثين: أميرة الصاعدي.

وهذا الكتاب رسالة علمية أيضا، تم فيها بحث المسائل المشتركة بين الأصوليين والمحدثين مع بيان الراجح، ومع كونها تتصل ببحثي حيث تبين كيفية طرح الأصوليين لمسائل النقد الحديثي، إلا أنها اقتصرت على دراسة المسائل كخلاف قائم، دون إبراز أثر التوجهات العقدية، ومدى ارتباط ترجيحات العلماء بعقائدهم، كما أنها لم تدرس أثرها في الأحكام العملية، وهذا ما أضفته إن شاء الله تعالى.

٣ – أثر فتنة خلق القرآن في صفوف الرواة: عبد الفتاح أبوغدة.

وهو بحث متوسط، بين فيه مؤلفه التبعات التي جاءت بها فتنة خلق القرآن على مدرسة الحديث، وكيف أحدثت أثرا كبيرا في تصنيف الرواة، وانقسام النقاد والمحدثين، وهذا مفيد في رسالتي من حيث الوصف التاريخي، أما من حيث الدرس العلمي النقدي فليس في هذا الكتاب أي بحث في مسائل النقد التي كانت لها خلفيات عقائدية معينة، وليس فيها أي إظهار لأثر التوجهات العقدية على تصيح الأحاديث وتعليلها، أو توثيق الرواة وتجريحهم.

وغيرها من الدراسات التي لها صلة بهذا الموضوع لكنها صلة بعيدة نوعا ما، لأنها لم تركز على أثر توجهات المحدثين العقدية على علم النقد ، وإنما اهتمت بمسائل علم النقد من جوانب مختلفة، وإن ذكرت شيئا من أثر التوجهات العقدية فإنما تذكره عرضا، مما يجعل الحاجة ماسة لدراسة متخصصة في هذا الجانب.

منهج البحث:

قام البحث على المنهج الوصفي التاريخي الاستقرائي للعلاقة القائمة بين معتقدات نقاد الحديث ونتاجهم العلمي النقدي.

حيث استقرأت – أثناء بحثي – استقراء تاما قواعد المصطلح وعلوم الحديث، واستعرضت أسماء أكثر النقاد من علماء الحديث والمشتغلين به، ثم حاولت التحليل والتفسير في ضوء المناهج العقدية والفكرية، أسجل منها ما كُشِفَت فيه هذه الخلفيات، لإظهار أصولها

وشرحها للقارئ بما يوضح العلاقة بين الأثر والمؤثر. وكل ذلك في دراسة وصفية تاريخية تحليلية.

ولا بد من التنبيه هنا إلى أني اعتمدت في أسلوب العرض والشرح طريقة التحليل والربط بين الأفكار، وليس طريقة السرد والعد والترقيم، فالرسالة تهدف إلى توضيح أمر خفي نوعا ما، خاضع لتعدد الآراء واختلاف الوجهات، فلزم – في نظري – سلوك أسلوب التفكيك والنقد، مع محاولة استعمال اللغة العربية السليمة، والكلمات المباشرة.

كما سلكت في مفردات البحث بعض الطرق التي لا بد من التنبيه عليها:

١- قمت بتخريج جميع الأحاديث المذكورة ذكرا أساسيا بحيث يدور البحث عليها، فإذا وجدت الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اقتصرت عليه، فإن لم يكن فيهما خرجته من كتب السنة محاولا جمع طرقه ورواياته كي أصل إلى الحكم الصحيح المناسب، مستعينا بأحكام العلماء النقاد المتقدمين، أنقل كل ذلك بأسلوب جامع ومختصر، أما الأحاديث المذكورة عرضا فقد أخرجها – إن رأيت فائدة في ذلك – مقتصرا على ذكر مرجع أو مرجعين مع محصل حكم العلماء عليها، كما أقتصر عند التخريج من الكتب الستة على ذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، دون ذكر الجزء والصفحة، وذلك نظرا لتعدد طبعات هذه الكتب بالقدر الذي قلل أهمية ذكر الجزء والصفحة.

٢- اقتصرت في الترجمة للأعلام المذكورين في الرسالة على ذكر الاسم والكنية واللقب وتاريخ الوفاة، وذلك حين أذكر المرجع الذي ورد اسم ذلك العلم مرتبطا به، مع التوسع في ترجمة بعض الأعلام الآخرين الذين أقدر أن الترجمة لهم ستعين على توضيح أمر متعلق بالبحث.

٣- ألحقت في آخر الرسالة فهارس لفصول الرسالة ومباحثها، وقائمة في المراجع والمصادر التي ذكرت فيها، مع تسمية الطبعة ودار النشر وتاريخه إن وجد.

نظرا لموضوع البحث المتعلق بالفكر والمعتقد وأثره على التوجه العلمي الحديثي، فقد سعيت أن أراقب الموضوعية والحيادية، وأتجنب التعصب أو التأثر بالثقافة السابقة، وذلك حتى أصل الى أقرب النتائج إلى الحق، وضمان عدم الوقوع فيما أحاول التحذير منه من خلال هذه الدراسة.

تقسيم الرسالة وتفصيلها:

تأملت في اختيار طريقة العرض والتبويب الأكثر مناسبة لتوضيح مقصود الرسالة على أبين حال، فوجدتني أمام خيارات كثيرة، منها: التبويب على أسماء الفرق العقائدية والتوجهات الفكرية ثم شرح مناهج كل منها في النقد الحديثي، ومنها التبويب تبعا للتقسيم العقلي لعلوم الحديث، بحيث يكون الكلام على مسائل النقد والمصطلح النظرية أولا، ثم يتبعه الحديث عن المسائل العملية كالحكم على الرواة ثم على الأحاديث.

ولكني، بعد التأمل والنظر في منهج النقد، وجدته قائما على أركان أربعة: الأصول (المنطلقات المعرفية)، الراوي، والمروي، والناقد.

وهي مقومات لا بد أن توجد في كل حكم نقدي، لذلك آثرت أن أجعل أبواب الرسالة تابعة لهذا التقسيم، فأجعل كل ركن في باب مستقل، وأتحدث فيه عن الخلفيات والمؤثرات الفكرية والعقدية، وعن وجه التأثير ومظاهره وأمثلته، فكانت رسالتي واقعة ضمن الفصول والمباحث الآتية:

الفصل الأول التمهيدي: أثر المنهج الإسلامي العام في صياغة منهج النقد الحديثي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر الوحي في نشأة النقد.

المبحث الثاني: قداسة النص الباعث الأول للنقد الحديثي.

المبحث الثالث: أثر اعتبار الإسلام للعقل في منهج النقد الحديثي.

الفصل الثاني: أثر القول بالمعرفة اللدنية في النقد الحديثي.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى الكشف والإلهام، وبداية استعماله مصدرا في النقد.

المبحث الثاني: موقف المحدثين من المعرفة اللدنية.

الفصل الثالث: نظرية العصمة وأثرها في النقد.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أصل بشرية الرواة عند المحدثين.

المبحث الثاني: بداية القول بالعصمة، واستعماله في قواعد النقد.

المبحث الثالث: أثر اعتقاد عصمة مجموع الأمة في النقد.

المبحث الرابع: ضوابط منهجية في دعوى الإجماع في النقد.

الفصل الرابع: اعتبار عقيدة الراوي في الحكم على مرويه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مسلك المحدثين العملي في اعتبار عقيدة الراوي.

المبحث الثاني: توجيه ما ينقل من الخلاف في هذه المسألة.

المبحث الثالث: مقارنة مع بعض المدارس النقدية الأخرى.

الفصل الخامس: القرائن العقدية في نقد النصوص.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مناقضة المروي لأصول العقيدة والشريعة مناقضة ظاهرة.

المبحث الثاني: موافقة المروي لما نقل عن أهل الكتاب.

المبحث الثالث: مخالفة المروي الظنية للعقيدة.

الفصل السادس: أثر عقيدة الناقد في أحكامه النقدية.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: التحيز في النقد الحديثي بوجه عام.

المبحث الثاني: اتهام الإمام أبي إسحاق الجوزجاني بالانحراف عن الشيعة في أحكامه النقدية.

المبحث الثالث: اتهام الإمام أبي عبد الرحمن النسائي بالميل في النقد إلى التشيع.

المبحث الرابع: اتهام الإمام محمد بن جرير الطبري بالميل في النقد إلى التشيع.

المبحث الخامس: اتهام أبي الفتح الأزدي بالميل في النقد إلى التشيع.

المبحث السادس: اتهام الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري بالميل في النقد إلى الشيعة.

المبحث السابع: اتهام الإمام ابن تيمية بالانحراف إلى النصب في نقده الحديثي.

وبذلك أرجو أن أكون قد سلكت أوضح الطرق وأقربها لفهم موضوع الرسالة، سائلا المولى عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وألا يحرمني أجره وثمرته، وأن يجعله نافعا طيبا مباركا إلى يوم الدين.

الفصل الأول التمهيدي:

أثر المنهج الإسلامي العام في صياغة منهج النقد الحديثي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر الوحي في نشأة النقد.

المبحث الثاني: قداسة النص الباعث الأول للنقد الحديثي.

المبحث الثالث: أثر اعتبار الإسلام للعقل في منهج النقد الحديثي.

الفصل الأول التمهيدي: أثر المنهج الإسلامي العام في صياغة منهج النقد الحديثي.

المبحث الأول: أثر الوحي في نشأة النقد.

نظرية النقد هي تلك القواعد والقوانين التي وضعها المحدثون معيارا لقبول النص أو رفضه، وقد كانت نشأتها الأولى مع بداية نشأة الأسانيد والكشف عن أحوال الرجال في الأوساط العلمية، بل لو قلت إن بدايتها كانت في زمن الوحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لما أبعدت، وذلك أن القرآن الكريم كان أول مصدر لقواعد نظرية النقد وقوانينها التي صاغها المحدثون فيما بعد على أحسن نسق، فيما يعرف اليوم بعلم "مصطلح الحديث."[١]

يقول المعلمي:

" أولُ من تكلم في أحوال الرجال القرآن، ثم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أصحابه. والآيات كثيرة في الثناء على الصحابة إجمالا، ووردت آيات في الثناء على أفراد معينين من الصحابة، وآيات في التنبيه على نفاق أفراد معينين، وعلى جرح أفراد آخرين."[٢]

وحين نتكلم عن المحدثين فإننا نتحدث عن مدرسة الأثر التي تلتزم في أحكامها وتصوراتها – فضلا عن مصادرها – النصَّ والأثر، ولا تكاد تلتفت عنه يمنة أو يسرة، وأول ما يدخل في ذلك: النص العالي البليغ المعجز "القرآن الكريم"، ثم ما عرفوه من الوحي بواسطة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولا أعني حين أسمي مدرسة الأثر في قضية النقد الحديثي ما يقابل مدرسة الرأي في كلام الفقيه أو الأصولي، فإن منهج النقد لم يكن من نقاط الخلاف التي مايزت بين مدرستي الأثر والرأي في الفقه الإسلامي، فقد كان الخلاف بينهما – في غالبه – في الفهم والاستنباط، وليس في طريقة إثبات النصوص وبيان صحتها من عدمه.

ولذلك تجد في كتب العقيدة أو الفقه أو أصول الفقه التفريق بين مدرستي الرأي والأثر ظاهرا عيانا لا يستطيع أحد إنكاره أو إخفاءه، وفي المقابل لا تجد في كتب علوم الحديث شيئا

---

[١] يعرف المفكرون "النظرية" بأنها : تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدق إلى ربط النتائج بالمبادئ. انظر: صليبا، المعجم الفلسفي، ط١، ١م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨م، ج٢، ص٤٧٧

[٢] المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي، (١٣٨٦هـ)، علم الرجال وأهميته، ط١، ١م، دار الراية، الرياض، ١٤١٧هـ، ص١٨.

من التمايز أو الانفصال بين مدرستين كبيرتين كما هو الحال في علم الفقه وأصوله، وإن كنا نجد خلافات في مسائل إلا أنها لا ترقى لتكوين توجهات عريضةً تستحق التصنيف والتمييز.

وثمة حقيقة لا يجوز أن تفوت دون التنبيه عليها، وهي أن منهج النقد لدى المحدثين كان متبلورا وواضحا منذ القرون الأولى، وكلما تقدم الزمن واتسعت الرواية في الأمصار أخذت تلك المنهجية تتضح أكثر فأكثر على أيدي كبار المحدثين، لتلائم كل طبقةٍ في زمانها وعصرها، وتستجيب للمستجدات التي تطرأ مع مرور الأيام وتقلب الأزمان، وذلك على أيدي أمثال عبد الله ابن المبارك وسفيان وشعبة ومالك، ثم يحيى بن سعيد وابن مهدي، ثم ابن المديني وابن معين وأحمد وإسحاق، وبعدهم البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم ومسلم وأبو داود، ثم النسائي وابن خزيمة وغيرهم كثير ممن قام علم النقد على أكتافهم، واقتاتَ على أعمارهم.

والغرض من بيان ذلك هو إثبات أسبقية النظرية النقدية للحركة الواسعة التي قام بها خلفاء بني العباس لترجمة الثقافة الإغريقية – بما فيها مناهجها في البحث والمعرفة – إلى القالب العربي، حيث بدأت مرحلة جديدة خطيرة حين بدأ المسلمون يَنظُرُون في علوم الأمم الأخرى، وليس الخطر مجرد الكشف والاطلاع – فإن الحضارة لا يمكن أن تبنى مقطوعة عن ميراث الإنسانية السابق – ولكن الخطر يكمن في محاولة قولبة المعطيات الإسلامية المعرفية في قوالب البحث الموروثة عن الحضارات الأخرى، من غير وعي إلى حقيقة التباعد وعدم المناسبة بين المادة والقالب المراد.

فقد قطع الإغريق أشواطا بعيدة في بناء مناهج بحث الإلهيات أو ما يسمى (الميتافيزيقيا)، انطلاقا من ضروب متشعبة ومختلفة من الأفكار، فلم يرجعوا – عبر تاريخ فلسفتهم – بشيء كثير عن عالم الغيب، في حين كانت الحضارة الإسلامية تبنى على أساس من العصمة، متمثلا بنور الوحي والنبوة، فأرشد العقل إلى المنهج التجريبي في البحث، وعليه قامت الحضارات إلى يومنا هذا.

فهل يعقل أن نسلم يقين النبوات التي أكرمت الأمةُ المسلمةُ به، إلى مناهج البحث المتخبطة في أوهام العقول وتخرصات الظنون، وكيف يجوز أن تبنى مسائل العلم التي بناها الوحي على أسس وقواعد الوهم التي جاءت بها عقول اليونان!

وللأسف قد كان ذلك، فظهرت الجهمية والمعتزلة، وأخذت أفكارهم تغزو الثقافة الإسلامية شيئا فشيئا، حتى نجحت في إيجاد موطئ قدم لها في كتب المسلمين وعلومهم، حتى رأينا

التصوف – الذي قام أول ما قام على الزهد والعزلة – ينصبغ بالفلسفة عند أمثال ابـن عربـي (٦٣٨هـ) وابن سبعين (٦٦٧هـ)[١].

ولكن ثمة عِلمان عليهما يقوم منهج البحث الإسلامي، ومن خلالهما حافظت حقائق الشريعة على جوهرها خَلِيَّةً من الانحراف والخلل، هما: علم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، اللذان يمثلان ركائز مناهج المعرفة الإسلامية، لأن الأول قام لحفظ المنهج السليم في الفهم والاستنباط، والثاني قام لنقل الوحي نقيا من النقص والزيادة على مر العصور.

وليس للحديث عن أصول الفقه محل هنا، فمنهج النقد الحديثي أو علم أصول الحديث أو علم مصطلح الحديث – وكلها أسماء لمسمى واحد – قد استأثر بكامل البيان، وأرجو أن يكون قد أخذ كفايته في ذلك، إذ الحديث عنه حديث طويل، إلا أن الذي يعنينا هنا هو البحث عن أصولها التي انطلقت من خصوصية المعرفة الإسلامية، أو لِنَقُل عن فلسفتها التي صاغتها الفكرة الإسلامية المستمدة من الوحي، وهي ميزة لم تشاركها فيها أي منهجية نقدية أرضية أخرى، فمنحت التكامل الذي شهد به القريب والبعيد، حتى قال المستشرق المشهور مارجليوث:
" ليفخر المسلمون بعلم حديثهم."

فالمنهجية البحثية التي أرشد إليها الوحي هي التي صاغت السياج العام، ووضعت الإطار المحيط لمنهج النقد الحديثي لدى المحدثين، وبذلك بلغت الكمال؛ فإنها استمدت من الكمال – وهو الوحي –، واستنارت بنور العقل الصحيح.

وقد تأثرت النظرية النقدية في أصول الحديث بالعديد من العوامل على طول مراحل تدوينها وتطورها، ثم في المحصلة صيغت لنا أعظمُ نظرية نقدية عرفها البشر حتى اليوم، فضلا عن العصور الأولى من الحياة العلمية، وهكذا هو العلم، تتناوله أيدي أهله بالتصحيح والتحقيق وإعادة الترتيب والتقييد، وذلك تبعا لمتغيرات الزمان والمكان أحيانا، أو متغيرات الفهم أحيانا أخرى.

---

[١] أما ابن عربي فستأتي ترجمته في صفحة رقم (٢٠) من هذا البحث، وأما ابن سبعين فهو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي، أبو محمد: من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. صنف كتاب: " الحروف الوضعية في الصور الفلكية " و " شرح كتاب إدريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحرف" و " أسرار الحكمة المشرقية" ونشر في القاهرة كتاب: "رسائل ابن سبعين"، وغير ذلك. وكفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية. قال ابن دقيق العيد: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته. وقال الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبي بعدي. وكان يقول في الله عز وجل: إنه حقيقة الموجودات. وفصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفا. توفي سنة (٦٦٩هـ). انظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٨٠.

النسائي، أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ)، **السنن**، ط١، ١م، (ترقيم عبد الفتاح أبو غدة)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

النسائي، أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ)، **خصائص علي بن أبي طالب**، ط١، ١م، (تحقيق أحمد البلوشي)، مكتبة العلا، الكويت.

النشار، علي سامي، (١٩٥٤م)، **نشأة الفكر الفلسفي**، ط١، ١م، القاهرة: دار النهضة المصرية،.

النووي، يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦هـ)، **المنثورات المعروف بفتاوى النووي**، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

النووي، يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦هـ) **شرح صحيح مسلم**، ط٢، ٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

آل عابد، خالد، (١٤٢٨هـ)، **الرؤيا الصادقة: حجيتها وضوابطها، دراسة أصولية فقهية**، بحث منشور في "مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية" العدد ٤٢، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

أبو الهدى الكلباسي، (ت١٣٥٦هـ)، **سماء المقال في علم الرجال**، ط١، ٢م، (تحقيق محمد الحسيني)، مؤسسة ولي العصر للدراسات الاسلامية، قم، ١٤١٩هـ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت ٢٧٥هـ)، **السنن**، ط١، ١م، (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم، (ت ٢٦٤هـ)، **أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتاب الضعفاء وأجوبته على أسئلة البرذعي**، ط١، ٣م، (تحقيق سعدي الهاشمي)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٢م.

أبو غدة، عبد الفتاح، (١٩٩٥م)، **الإسناد من الدين**، ط١، ١م، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

أبو يعلى، أحمد بن علي، (ت ٣٠٧هـ)، **المسند**، ط١، ١٣م، (تحقيق حسين سليم أسد)، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ.

أسعد، قاسم، (٢٠٠٢م)، **منهج الإمام أبي عبد الرحمن النسائي في الجرح والتعديل**، ط١، ٥م، الإمارات: دار البحوث للدراسات الإسلامية.

أمحزون، محمد، (١٩٩٩م)، **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين**، ط١، ٢م، الرياض: دار طيبة.

بدوي، عبد الرحمن، (١٩٧٧م)، **مناهج البحث العلمي**، ط٣، ١م، القاهرة: وكالة المطبوعات.

بطرس عبد الملك، جون ألكسندر، إبراهيم مطر، (١٩٩٤م)، **قاموس الكتاب المقدس**، ط٩، ١م، القاهرة: دار الثقافة.

رستم، أسد، (١٩٧٧م)، **مصطلح التاريخ**، ط١، صيدا: المكتبة العصرية.

روزنتال، يودين، (١٩٩٧م)، **الموسوعة الفلسفية**، ط٧، ١م، بيروت: دار الطليعة.

شاكر، أحمد محمد شاكر، (١٩٥٨م)، **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، بيروت: دار الكتب العلمية.

صادق، صادق سليم، (١٤٢٥هـ)، **المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: عرضا ونقدا**، ط١، ١م، الرياض: مكتبة الرشد.

صليبا، (١٩٧٨م)، **المعجم الفلسفي**، ط١، ١م، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

عبد الخالق، عبد الرحمن، (١٩٩٣م)، **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**، ط٤، ١م، مصر والسودان، دار الحرمين للطباعة.

عبد الله فياض، **(١٣٩٥هـ)، تاريخ الإمامية**، ط٢، ١م، بيروت: مؤسسة الأعلمي.

عليش المالكي، محمد بن أحمد بن محمد، (ت ١٢٩٩هـ)، **فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك**، ط١، ٢م، دار المعرفة، بيروت.

غالب بن علي، (١٩٩٨م)، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها**، ط٣، ٣م، دمنهور: دار لينة.

غفاري، علي أكبر، (١٩٩٩م)، **دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للعلامة المامقاني**، جامعة الإمام الصادق، قم.

كانت، إمانويل، (١٨٠٤م)، **نقد العقل المحض**، ط١، ١م، (ترجمة موسى وهبة)، بيروت: مركز الإنماء القومي.

لانجلوا، شارل فكتور، وسينوبوس، (١٩٦٣م)، **النقد التاريخي ويشمل المدخل إلى الدراسات التاريخية**، ط١، ١م، (ترجمة عبد الرحمن بدوي)، القاهرة، دار النهضة العربية.

محمد جواد مغنية، (٢٠٠٠م)، **الشيعة في الميزان**، بيروت: دار التعارف.

محمد عبد الكريم بركات، (٢٠٠٥م)، **الإلهام مفهومه ودلالته وموقف الأصوليين والصوفية منه**، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد التاسع عشر.

مغلطاي، علاء الدين بن قليج، (ت ٧٦٢هـ)، **إكمال تهذيب الكمال**، (تحقيق عادل بن محمد، وأسامة بن إبراهيم)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة.

موافي، عثمان، (١٩٧٦م)، **منهج النقد التاريخي الإســلامي والمــنهج الأوروبــي**، ط١، ١م، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.

همام، سعيد، (١٩٨٧م)، **الفكر المنهجي عند المحدثين**، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة.